

## الفصل الرابع

مقاومة الخديو للاحتلال ( ١٨٩٤ - ١٨٩٨ )

- ١ - الوفاق الظاهري والمقاومة السرية .
- ٢ - مقاومة الخديو والحركة الوطنية للاحتلال أثناء فتح السودان .
- ٣ - قضية التلغراف ومحاكمة الشيخ على يوسف .
- ٤ - تطور العلاقة بين الخديو والسلطان .

obeikan.com

يعتبر حادث الحدود نقطة تحول في العلاقة بين الخديو وكرومر وبالرغم من أن الخديو لم يكف عن مقاومة الاحتلال إلا أنه أصبح أكثر حرصاً يتبع سياسة المساومة في الباطن بينما يعان سياسة الوفاق Cancellation رعلى كل حال فإنه يمكن تقسيم هذه الفترة الى قسمين قسم يبدأ من عام ١٨٩٤ وحتى فتح السودان ١٨٩٦ ويتميز باتتباع الخديو لوسائل المقاومة السرية ، والقسم الآخر ويبدأ بفتح السودان وفيه يخرج الخديو عن سياسته ويقف علانية ضد مخططات الانجليز في السودان (١) .

وكانت الرغبة الملحة التي واجهت الخديو بعد أزمة الحدود هي التخلص من وزارة رياض ولكن كرومر كان يعارض في أي تغيير وزارى بناء على طلب الخديو ، كما أنه وجد أن اقالة من نصح الخديو بالتسليم بمطالب الانجليز يعتبر مبدءاً غير مشجع للوزراء الآخرين على الاستمرار في هذه السياسة ولكن الخديو تغلب على ذلك بتوسيط الأميرة نازلى فاضل صديقة الانجليز (٢) ، ولما أحس رياض بما يدور خلف الكواليس تقدم استقالته في أبريل ١٨٩٤ فعهد الخديو برئاسة الوزارة الى نوبار باشا ، وكان من المنتظر أن تكون وزارة نوبار وفاق ولكن كل من الخديو وكرومر لم يكونا متشبعين بسياسة الوفاق فأتبع نوبار سياسة الخصوع الكامل للاحتلال مما أثار المشاكل بينه وبين الخديو ومن ثم بين الخديو والاحتلال (٣) ، ونتيجة لذلك بدأ الخديو يتوعد للاحتلال

(١) د. المسدى : المرجع السابق .

(٢) الأميرة نازلى هاتم بنت الأمير مصطفى فاضل باشا أخ الخديو اسماعيل كانت من أنصار الانجليز وعشاتهم ، فقد تربت تربية اوروبية وكلفت على علاقة ومليدة بالانجليز .

انظر : مذكرات محمد نريد ، ملف رقم ٢ ، ص ٦٥

(٣) المسدى : المرجع السابق .

كما أرسل يستدعى مصطفى كامل من أوروبا ، ولكن مصطفى كامل رفض الانصياع لطلبه وأرسل اليه خطابا قال فيه « رأيت من الحكمة أن أؤخر عودتي صيانة لكرامة شعوبكم ، إذ أنني لو كنت عدت حينذاك لتحقق للانجليز من أنني مرسل إلى أوروبا من قبل جنابكم ، وأجبت أن أبرهن لسعوبكم بتأخيرى عن الحضور أن ليس هناك شىء ما وراء التهديدات الانجليزية ، وأن الانجليز لا يستطيعون ولن يستطيعوا أن يضروا شعوبكم » .

ومن هذا الخطاب يتضح رفض مصطفى كامل اتباع أوامر الخديو بالعودة إلى مصر ووقف حملاته في أوروبا ضد الانجليز خوفا على عرشه ونفسه موحشا أن الانجليز لا يمكنهم الاساءة اليه بسبب جهاده لأنهم لو تمكنوا من ذلك لعلوه منذ زمن طويل .

ولما أحس كرومر بخطورة دور مصطفى كامل في التشهير بسياسة الاحتلال في مصر أراد التخلص منه بإدخاله الجيش برغم تمتعه بالأعفاء القانونى (٤) .

ولكن مصطفى كامل كشف حيلتهم وأوضح أنه كان غائبا في أوروبا ولم يمله اعلان بذلك (٥) .

ونظرا لتغير الظروف الدولية عاد الخديو إلى سياسة مقاومة الاحتلال وبوجه خاص بعد أن ساءت علاقة ألمانيا بانجلترا نتيجة الأزمة جنوب أفريقيا كما أن فرنسا بدأت تنظر إلى دور انجلترا في إعادة

(٤) نص قانون التجنيد في مصر في ذلك الوقت على اعفاء حملة المؤهلات المالية من الخدمة في الجيش بشرط أن يقدم الشخص ما يثبت مؤهله خلال ثلاثة أشهر .

الرافعى : مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية ، ص ٩٠ .

(٥) عن تفاسيل هذا الموضوع انظر : على نهى كامل : مصطفى كامل في ٢٤ ربيعاً ، الجزء الخامس ، ص ١٨٦ — ١٩٣ .

فتح السودان نظرة ريب ، وبذلك شعر الخديو بحرج موقف انجلترا ، ولما كانت تركيا قد خرجت من اضطرابات الأكرمن ، وحرب اليونان منتصرة فقد أصبح ممكنا الاستفادة من السلطان في مقاومة انجلترا في مصر ، وقد دفع ذلك الخديو الى زيارة الآستانة وتوطيد الصلة بينه وبين السلطان الى حد كبير <sup>(٦)</sup> لدرجة أن الخديو رغب في الزواج من إحدى بنات السلطان ولم يمانع السلطان في ذلك لولا دسائس أبي الهدى الصيادي عند السلطان بخطورة هذا الزواج وإيهامه بأنه اذا أنجبت كريمته ذكرا فلا يستبعد أن يرشحه الانجليز للخلافة ، وبذلك تنتقل الخلافة من تركيا الى مصر ، مما جعل السلطان يحجم عن اتمام هذا الزواج حرصا على مركز الخلافة <sup>(٧)</sup> .

أما الانجليز فقد قاموا بالضغط على السلطان حتى لا يشجع الخديو في حركته الفسادة لهم ، ونجحوا في ذلك اذ « أن السلطان نصح الخديو بطريقة أبوية أن يفوض أمره الى الله <sup>(٨)</sup> » فعاد الخديو الى مصر خصما مؤدبا ذليلا بعد أن ذهب الى الآستانة شاعرا سلاح الحرب <sup>(٩)</sup> ، ولكن الأحوال لم تستمر على هذا المنوال اذ أن الخديو بدأ يقاوم طلب الانجليز في إعادة فتح السودان .

### مقاومة الخديو والحركة الوطنية للاحتلال أثناء فتح السودان :

اعتبرت انجلترا أن سوء ادارة الحكم المصري في السودان هو الذي أدى الى ضياعه ، ولكن الوقائع أثبتت أن انجلترا عملت منذ بداية احتلالها لمصر على تصفية الوجود المصري في السودان ثم استغلال الأوضاع الدولية لوضع يدها عليه .

(6) Ahmed Shafik Pacha : l'Egypte Moderne et les Influences et rangers p. 170.

(٧) أحمد شفيق : المرجع السابق ج ٢ ، القسم الأول ، ص ١٥٦ .

(٨) نفسه ص ١٤١ .

(9) Cromer : Abbas II p. 54.

(م ١١ — الخديو عباس الثاني )

ولما تطورت الأحداث الدولية في مارس ١٨٩٦ بهزيمة القوات الإيطالية على يد الأحباش شعر العثمانيون بأن الخطر يهددهم من جانب الأحباش ومن جانب المهديّة ، لذلك استنجدت الحكومة الإيطالية بالإنجلترا للقيام بمهام حربية في السودان حتى لا يتحد الأحباش والسودانيون ضد أوروبا (١٠) .

واستجابت بريطانيا لنداء إيطاليا وشجعها على ذلك رغبتها القديمة في استعادة السودان ، فأبرقت إلى معتمدها في مصر بالأمر فاتفق مع السردار على الخطة العامة لإعادة فتح السودان وبدأ في تنفيذها قبل إعلان الخبر للخديو والحكومة المصرية (١١) .

ومع أن المصريين كانوا قد حزنوا لضياع السودان واستمكوا بارتباط السودان بمصر وأثر شريف باشا الاستقالة احتجاجا على اختلاله وتحمس المصريون في أول الأمر لإعادة فتح السودان فان هذا الحماس قد فتر بعد أن اعتقدوا أن هذا الفتح سيكون في صالح بريطانيا حيث سيضمن لها بقاء مصر في حوزة امبراطوريتها ويتضح من قول أحد الإنجليز المعاصرين « اننا سنحكم مصر اذا تواجدنا عند منابع نهر النيل (١٢) » بمعنى أن تواجد إنجلترا في السودان سيعطي أمد احتلالها لمصر .

وقد اعترض الخديو عباس الثاني على الحملة صراحة كما اعترضت جرائد السراي والجرائد الوطنية (١٣) ، ولكن الخديو اضطر تحت

(١٠) مكي شبكة : السودان في قرن ١٨١٩ — ١٩١٩ . القاهرة — لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٤٧ ، ص ٢٧٤ — ٢٧٥  
(١١) نفسه : ص ٢٧٥

(12) Langer. W. L. The Diplomacy of Imperialism 1890 - 1902 Vol. 1 New York p. 127.

(١٣) قامت جريدة المؤيد بحملة كبرى ضد إعادة فتح السودان ، انظر اعداد ١٨ — ٢٨ مارس ، ١٥ أبريل ، ١ مايو ، ١٦ يونيو ، ٢٦ أغسطس ١٨٩٧ ، ٢ أغسطس ، ٢٠ سبتمبر ١٨٩٨

تهديدات كرومر الى اقرارها وبوجه خاص بعد أن رأى الوزراء المصريين قد وافقوا عليها وأن ألمانيا وتركيا لم تبديا اعتراضا واضحا على الحملة .

أما عن رأى الحركة الوطنية في فتح السودان فقد أوضحه مصطفى كامل بقوله « اننا نود من مصمم قلوبنا أن نسترد المقاطعات السودانية التي هي لبلادنا الروح نفسها .. ولكننا ما أردنا قط ولا نريد أبدا أن نسترجع السودان تحت قيادة الانجليز وبوجودهم على رأس الجيش يحفرون بيننا وبين السودانيين حفرة من أعماق الجفر تؤخر لزمان مديد صلحنا معهم (١٤) » كما أوضح أن إعادة فتح السودان سيؤدي الى اطالة أمد الاحتلال البريطاني لمصر (١٥) .

وقد قام مصطفى كامل بحملة شديدة ضد فتح السودان موضحا أن هدف الانجليز منه هو تحويله الى مستعمرة بريطانية .

وخلال عمليات الفتح وبعدها قاسى الجيش المصرى الكثير من المتاعب نتيجة للتعبير الشديد الذى اتبعه ككتشنر ، فلم يستطع أفراد الحملة الحصول على القدر الكافى من الغذاء والكساء ووصل الأمر بالجنود أن دخلوا دنقلة بأسمال بالية كما كان على القوات أن تقطع مسافات شاسعة سيراً على الأقدام في جو السودان الشديد الحرارة لعدم كفاية وسائل النقل ، وكانت قلة وسائل النقل سببا في نقص الخدمات الطبية ، ولم يقتصر الأمر على ذلك بل تخطاه الى سوء المعاملة التي لقيها الجنود المصريون من الضباط الانجليز (١٦) .

(١٤) أحمد رشاد : المرجع السابق ، ص ٩٣

(١٥) نفسه : ص ٩١

(١٦) المجلة التاريخية المصرية : المجلد الثاني والعشرون ١٩٧٥ ، مقال للدكتور المسدي تحت عنوان الاحتلال والحركة الوطنية في مصر في اوائل القرن العشرين ، ص ١٢٤ — ١٢٦

يضاف الى ذلك أن مصر تخملت الكثير من النفقات أثناء فتح السودان مما أرهاق ميزانيتهما . فكان السودان مصدر اتفاق لا مصدر إيراد لمصر ومع ذلك فإن مصر على الدوام لم تبخل بأى تنحية من الرجال والمال في سبيل جمع شمال الوادى بجنوبه (١٧) . ولكى يحقق كرومر لبلاده السيطرة على السودان رأى ضرورة اشتراكها في الفتح بالتخطيط والقيادة والأموال وتنفيذاً لذلك رأى أنه لو أقرضت إنجلترا مصر أموالاً لمصاريف الحملة فإن الأراضي المفتوحة ستزعم مقابل هذا القرض ، وذلك بأن يتولى السردار الانجليزى للجيش المصرى ادارة تلك الأقاليم باسم الحكومة البريطانية حتى يسدد القرض ، وتحت التهديد وافق الخديو على قبول ذلك (١٨) .

كما رأى كرومر أن يتم بيع سكة حديد السودان (١٩) الى شركة انجليزية بحجة حاجة الحكومة الى المال لتدبير نفقات الحملة ، ولأن الحكومة لم تعد في حاجة الى السكة الحديد بعد انتصار الجيش المصرى ولكى يستكمل كرومر خطته رأى أن تتنازل بلاده عن القرض الذى قدمته للحكومة المصرية بحجة توفير الأموال لمواصلة الفتح (٢٠) .

ونتيجة لتهديدات كرومر المستمرة للخديو ، وفقدان الأمل في المساعدات الدولية وقع الخديو اتفاقية السودان في ١٩ يناير ١٨٩٩ ، وهذه الاتفاقية تمثل البداية الفعلية لاستسلام الخديو وخضوعه

---

(١٧) أخبار اليوم : فى ١٩٤٥/١٢/١ مقال للدكتور وحيد رافت تحت عنوان « السودان أو وحدة وادى النيل » .

(١٨) المسدى : محاضرات فى تاريخ مصر المعاصر .

(١٩) مد الجيش المصرى سكك حديدية فى صحراء النوبة ليتسنى له أن يزحف ويحتفظ باتصاله بقواعده العسكرية ، وقد عانى المصريون شروبه المشاق والأهوال أثناء انشغالهم بإنشاء السكك الحديدية فى تلك الصحراء المقفرة .

الرافعى : مصطفى كمال باعث الحركة الوطنية ، ص ٢٣٦

(٢٠) المسدى : المرجع السابق .



للاحتلال ، ومع ذلك فإن مصطفى كامل لم يستسلم لما حدث بل هاجم هذه الاتفاقية واعتبرها باطلة كما اعتبر يوم ١٩ يناير وهو اليوم الذى وقعت فيه هذه الاتفاقية يوم من أكبر أيام الشتاء فى تاريخ مصر (★) .

### قضية التلغراف ومحاكمة الشيخ على يوسف :

شغلت هذه القضية الرأى العام المصرى لفترة ، وتختصر فى أن جريدة المؤيد نشرت تلغرافاً سرياً أرسله اللورد كاتششر سردار الجيش المصرى فى ٢٨ يوليو ١٨٩٦ الى وزير الحربى بخصوص أحوال الحملة فى السودان واصابات الكوليرا التى وقعت بأفراد الجيش (٢١) هناك وصورته كالتالى « تفيد التلغرافات الواردة من ( كوشه ) أمس على نظارة الحربى التفصيلات الآتية عن حالة الجيش المصرى فى الحدود وقد أظهر سعادة السردار أسفه وأنه لم يتمكن منذ أيام من ارسال التفصيلات لأنه كان شديد القلق من الكوليرا التى انتشرت هناك فى كل نقطة ومركز من مراكز خط المواصلات وفى المعسكرات » ثم قال وقد حصل فى أسوان بين عساكر الحضرة الخديوية الفخيمة ٢٩ اصابة توفى فيها ١٥ شخصا ، أما فى كروسكو فقد حصلت ٢٢ اصابة توفى منها ١٣ ، وفى حلغا ١٥٦ اصابة توفى منها ١٨ وست وفيات فى الجيش انبريطانى ، واستمر المؤيد فى ذكر بيان الاصابات كما وردت فى تلغراف السردار (٢٢) .

والسؤال الذى يطرح نفسه هو كيف حصل الشيخ على يوسف على تلغراف سرى من وزارة الحربى رغم أن أخبار السودان كانت ممنوعة عن الجرائد الوطنية ؟

(\*) اللواء : العدد ١٦ فى ٢٠ يناير ١٩٠٠ تحت عنوان « يوم ١٩ يناير » .

(٢١) أحمد شفيق : المرجع السابق ، ص ٢٣٠ — ٢٣١

(٢٢) المؤيد : عدد ٢٨ يوليه ١٨٩٦ تحت عنوان « أحوال الجيش المصرى فى الحدود » .

لقد بحثت الحكومة هذا الأمر فاتفقت لها أن توفيق أفندي كيرلس الموظف بمكتب التلغراف بالأزبكية هو الذى تلقى برقية السردار وأبلغ عن فحواها الى المؤيد (٢٣) وأن الشيخ على يوسف تواطأ مع موظف التلغراف وأخذ منه البرقية ونشرها في جريدته (٢٤) .

وأقامت النيابة الدعوى العمومية على الشيخ على يوسف وتوفيق كيرلس بناء على طلب اللورد كيتشنر ونظرا لأن جريدة المؤيد كانت لسان حال الحركة الوطنية في ذلك الوقت فقد ازدحمت الجماهير على محكمة عابدين التى نظرت فيها القضية حتى أن بعض قاصدى الجلسة دفع لدخوله قاعة المحكمة أجرا يتراوح بين نصف الجنيه والجنيهين للشخص الواحد (٢٥) ، ولما كان محمد فريد وقتئذ يعمل وكيلًا بنيابة الاستئناف فقد شهد القضية وأظهر عطفه على صاحب المؤيد وبغضه للاحتلال وسياسته ، وانتهى الأمر بصدر الحكم في القضية يوم ١٩ نوفمبر ١٨٩٦ ببراءة الشيخ على يوسف وحبس توفيق كيرلس ثلاثة أشهر (٢٦) ، ونتيجة لذلك هتف الحاضرون في المحكمة بعدالة القضاء واستقلاله ، ولم يتمالك محمد فريد في اظهار سروره بهذا الحكم مما أدى الى نكمة الاحتلال عليه فطلب الانجليز من النائب العام نقله الى احدى نيابات الوجه القبلى ، فأصدر أمرا بنقله الى نيابة بنى سويف ، ولكن فريد اعتبر أن هذا النقل بمثابة انتقام منه لا نقلا تقتضيه المصلحة لذلك رفض تنفيذ أمر النقل ، واستقال من وظيفته احتجاجا على ذلك وكتب الى النائب العمومى بتاريخ ٢٢ نوفمبر ١٨٩٦ بقبول استعفائه (٢٧) .

ونظرا لاستياء الانجليز من أحكام القضية استأنفت النيابة الحكم

(٢٣) الرامسى : محمد فريد رمز الاخلاص والتضحية ، ص ٢٨

(٢٤) دار الوثائق : مذكرات تاريخ حياة ابراهيم الهلباوى ، ص ٥٣

(٢٥) نفسه : ص ٥٣

(٢٦) الرامسى : المرجع السابق ، ص ٢٨

(٢٧) دار المحفوظات : مجموعة القرارات والمنشورات الصادرة من

مجلس النظار ومن النظارات عام ١٨٩٦

منظرت القضية في أول ديسمبر ١٨٩٦ أمام محكمة الجنح المستأنفة ثم تأجلت منتصف الى نصف الشهر وفيها أصدرت المحكمة حكمها بتأييد حكم البراءة بالنسبة للشيخ على يوسف ، والغاء الحكم بالنسبة لتوفيق كيرلس وبرامته (٢٨) .

ومن ذلك يتضح أن اهتمام الرأي العام المصرى بهذه القضية يعتبر مثلاً على نضوج الوعي القومى في ذلك الوقت وبرهانا على كراهية الشعب المصرى للاحتلال وأعوانه .

### تطور العلاقات بين الخديو والسلطان :

باعتلاء عباس الثانى أريكة الخديوية جدد السلطان محاولاته لسحب الامتيازات التى حصلت عليها مصر مستغلا ذلك صغر سن الخديو ومع أن الخديو حاول مد جسور التعاون بينه وبين السلطان من أجل وقف سيطرة بريطانيا على الأحوال الداخلية في مصر الا أن هذا التعاون كان يتعذر أحيانا خصوصا بعد أن اتضح للخديو عجز السلطان عن الوقوف معه ضد الاحتلال .

ولما كان الخديو يخشى نفوذ السلطان في مصر — نظرا لأن المصريين كانوا يعتبرون أنفسهم مكلفين شرعا بطاعته باعتباره الأب الروحى للمسلمين — فقد بدأ يقاومه ويقف في وجه سحبه لى امتيازات نالنها مصر من قبل .

ومع أن السلطان كان قد وهب ايرادات جزيرة طاشيوز الى محمد على بموجب فرمان صدر عام ١٨١٣ جزاء انتصاره على الوهابيين (٢٩) فإنه حاول استرداد هذه الامتيازات في عصر عباس الثانى في حين

(٢٨) الراعى : المرجع السابق ، ص ٢٩

(٢٩) احمد شليق : المرجع السابق ج ٢ ، القسم الاول ، ص ٢٩٨

حاول الخديو التمكين لنفسه في هذه الجزيرة (٣٠) ، وقد بدأ النزاع على هذه الجزيرة منذ عام ١٨٩٥ فلما أراد الخديو بناء قصر له فيها رفض السلطان طلبه كما رفض السماح له بالذهاب إليها مما زاد من الجفاء بينهما الأمر الذي جعل الخديو يمتنع الدعاء للسلطان في المساجد (٣١) .

وتطورت الأمور عندما فرض أحمد خيرى مدير الأوقاف الخديوية بطاشيوز خريصة عالية على الماعز نظرا لأنها كانت تأكل شجيرات الزيتون هناك وأخذ أعيان الجزيرة كرهائن حتى يدفع الأهالى ما عليهم من حسابات (٣٢) فتذمر الأهالى واشتكوا الى مأمور الجزيرة التركى من ذلك كما أرسلوا الى الخديو يلتصنون إلغاء الضريبة وقبل أن يتم النظر فى شكواهم قاموا بمظاهرة وذهبوا الى مأمورية مركز إدارة الجزيرة واسطدوموا بالقوات الموجودة هناك فقتل عدد منهم (٣٣) ، ولما أبلغ السلطان بالأمر انتهز الفرصة فأمر بإرسال قوات لاحتلال الجزيرة كما أصدر أمرا بضم معاون طاشيوز الى خزينته الخاصة وضم إدارة الجزيرة الى ولاية سالونيك (٣٤) مما أثار غضب الخديو وجعله يتقرب من الانجليز .

(٣٠) حاول الخديو التمكين لنفسه في هذه الجزيرة فقام بتحسين أحوالها « وإيجاد الأسباب اليافعة لثروة ورغاية أهاليها » كما أمر بتيسير سبل المواصلات وسهولة التنقل بها .

دار الوثائق : ديوان معية سنية عربى . رقم ٥٣٩٣ فى ١٧ يونيه ٩٩ تحت رقم ٤٨ كما أمر بإنشاء معصرة لزيت الزيتون هناك نظرا لما تشتهر به الجزيرة من حاصلات الزيتون .

(31) Blunt : My Diaries, Vol. 1, p. 255 - 256.

(٣٢) يوضح ذلك من دواوين المعية السنية .

انظر : ديوان رقم ٤٥٣٩٥ تحت رقم ٢٨ بتاريخ ٢٨ ابريل ١٩٠٠  
(٣٣) أحمد شفيق : المرجع السابق ج ٢ ، القسم الاول ، ص ٣٩٦

(٣٤) نفسه : ص ٣٩٨ ، ٤٠٠ ، ٤٠٣ ، ٤١١

وهكذا كانت طاشيسوز هي الصخرة التي تحطمت عليها علاقات الخديو بالسلطان (٣٥) .

طلب الخديو مساعدة الانجليز لغازره ونجت باشا بقصر رأس التين فأطلعه الخديو على تفاصيل الحادث ، وعلى حاجته الى معاونة كرومر له فنصحته بالتصك بموقفه وأوضح له بأن الانجليز على استعداد لمساعدته اذ هو اتفق معهم ، وأن حل المسألة يمكن أن ينتهى بإرسال سفينة حربية بريطانية لهذه الجزيرة (٣٦) .

وقد حاولت جريدة اللواء رأب الصدع بين السلطان والخديو فذكرت « ان منزلة الجناب العالى من جلالة السلطان كمنزلة الولد البار من الوالد العلوف » كما هاجمت المحاولات التى تبثها بعض الصحف المغرضة للتفريق بين السلطان والخديو (٣٧) . كما حذر مصطفى كامل من نجاح الانجليز فى التفرقة بين السلطان والخديو ثم طالب الخديو بالتبصر فى الأمور ، وبذل الجهود لتوطيد علاقة مصر بالدولة العثمانية حتى يكفل ذلك له سلامة عرشه (٣٨) .

والجدير بالذكر أن الخديو كان على استعداد للتعاون مع الانجليز ضد السلطان ، ولكنه لم يكن مستعدا لقطع العلاقات نهائيا معه (٣٩) بالدرجة التى تمكن الانجليز من اعلان حمايتهم على مصر ، ومن هنا

---

(٣٥) يوسف خليل جاد الله : المرجع السابق ، ص ٢٢٧

(٣٦) أحمد شفيق : المرجع السابق ، ص ٤١١ — ٤١٢

(٣٧) اللواء : عدد ٨٤٤ فى ١٥ يولييه ١٩٠٢ تحت عنوان « مسألة طاشيسوز » .

(٣٨) أحمد رشاد : المرجع السابق ، ص ١٠٤

(٣٩) عندما طلب كرومر من الخديو عزل قاضى القضاة التركى وتعيين آخر مصرى مكانه رفض الخديو على أساس أن ذلك من اختصاص السلطان ، وقد استثمرت محاولات الانجليز فى هذا السبيل للتفاسيل انظر : مذكرات سعد زغلول كراسة رقم ٩ ، ص ٤٣٧

لجأ الخديو الى أسلوب الضغط على السلطان حتى يعيد اليه امتيازات مصر في طاشيوز وكان ذلك باستخدام طريقتين :

١ — مساعدته لأعضاء جماعة تركيا الفتاة .

٢ — التلويح بإمكان قيام خلافة عربية تحل محل الخلافة العثمانية (٤٠) .

ومن أجل ذلك رحب الخديو بأعضاء جماعة تركيا الفتاة الفارين من بطش السلطان وقربهم اليه واستخدمهم في قصره وظل الأمر كذلك حتى ساءت علاقة الخديو بالانجليز فتقرب الى السلطان وحاول استرضاءه باضهاد أعضاء جماعة تركيا الفتاة الموجودين بمصر كما حدث في مسألة ليون فهمي (٤١) وحادث المطبعة (٤٢) ، ولكن السلطات الانجليزية حالت دون بطش الخديو بهؤلاء واحتضنهم كرومر وزاولوا نشاطهم في مصر تحت حماية الانجليز .

أما عن تلويح الخديو باقامة خلافة عربية فذكر البعض أن الخديو كان يطمح في الخلافة ، ويريد أن يستمد من سمعة الأزهر وعلمائه في العالم الاسلامي سنداً دينياً يرجحه على أمراء المسلمين (٤٣) ، وقد

(٤٠) الكتاب : العدد ١٥٩ في يونيه ١٩٧٤ تحت عنوان « أم القري للكواكبي » .

(٤١) انظر : الفصل الثاني .

(٤٢) خلاصتها ان بعض الاوراق الخاصة بسجلات المشتركين في جماعة تركيا الفتاة كانت قد طبعت في عام ١٩٠٠ ، ثم حدث نزاع على ملكية المطبعة التي طبع فيها هذه السجلات استغله اتباع السلطان في الحصول على الاسماء الموجودة بالسجلات وتسليمها للسلطان ، ونظروا لخطورة الامر اتصل أعضاء هذه الجماعة بكرورم فأسرع بالتدخل في الامر والاستيلاء على الاوراق الموجودة بالمطبعة وحرقها .

Cromer : Abbas II p. 79.

أحمد شفيق : المرجع السابق ، ص ٣٩٤ — ٣٩٥

(٤٣) عباس العقاد : محمد عبده ، ص ٢٣٤

أحسن السلطان بذلك فلما زار الخديو الآستانة والتقى بجمال الدين الأفغانى هناك استدعى السلطان اليه الأفغانى وسأله أن تريد أن تجعلها عباسية — بمعنى أنه يتآمر على اسناد الخلافة الى الخديو عباس الثانى — فرد عليه الأفغانى بأن الخلافة ليست خاتما فى يده يضعه فى أصبع من يشاء (٤٤) .

كما يذكر بلنت أن الخديو أرسل ابن عمه البرنس عزيز حسن الى بلاد نجد لمقابلة ابن الرشيد للتباحث فى موضوع الخلافة العربية ، ولكن لم تتم المقابلة نظرا لضغط السلطان على الخديو (٤٥) .

وبالرغم من ذلك غاننا نرى أن الخديو عباس الثانى لم تكن لديه القدرة التى تمكنه من تنفيذ فكرة الخلافة العربية ، وأن الأمر لا يعدو أكثر من مزاولة الضغط على السلطان للحد من مصادقاته استرداد الامتيازات التى نالتها مصر من قبل ، ووقف تدخله فى شؤون مصر .

وعلى كل حال فقد أضعفت معارك الخديو مع السلطان من موقفه أمام الانجليز ، وجعلته يقع تحت ضغط كرومر .

---

(٤٤) محمد رشيد رضا : المرجع السابق ج ١ ، ص ٨٨

(45) Blunt : op. cit., Part 1, p.p. 252 - 272.